

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

مارس - إبريل 2007

الإخوان المسلمون المعتدلون

بقلم : روبرت س. ليكن و ستيفن بروك

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بتداول محتوى هذا التقرير إلا بإذن خاص من
وزارة الخارجية الأمريكية

الأخوان المسلمون المعتدلون

روبرت س. ليكن وستيفن بروك

عدو أم صديق؟

تعتبر حركة الإخوان المسلمين هي الأقدم والأكبر والأكثر نفوذا بين المنظمات الإسلامية. كما أنها أكثر الحركات الإسلامية إثارة للجدل والإدانة من كل من الآراء المتحفظة في الغرب وكذلك الآراء المتطرفة في الشرق الأوسط. وقد أطلق المعلقون الأمريكيون على الإخوان المسلمين اسم "الإسلاميون الراديكاليون" و " المكون الأساسي في القوة الضاربة للأعداء... وهم أيضا على أعلى درجات العداء بالنسبة للولايات المتحدة." فوجد أن شخصا مثل أيمن الظواهري المنتمي لحركة القاعدة يسخر منهم لأنهم "يغرون آلاف الشباب المسلمين للوقوف في الصفوف من أجل الانتخاب بدلا من صفوف الجهاد."

فأبناء حركة الجهاد يحتقرون الإخوان المسلمين بسبب رفضهم للجهاد العالمي ودفاعهم عن الديمقراطية. ومن الواضح أن هذه المواقف تجعلهم معتدلين، و هو بالضبط ما تنتشده الولايات المتحدة نظرا لما تعاني منه من نقص شديد في الحلفاء داخل العالم العربي. فالإخوان المسلمون يهاجمون سياسة الولايات المتحدة الخارجية خاصة دعمها لإسرائيل والتساؤلات المثارة حول مدى التزامها من العملية الديمقراطية.

وخلال العام المنصرم تقابلنا مع العشرات من قادة الإخوان المسلمين ونشطاءهم في مصر وفرنسا والأردن واسبانيا وسوريا وتونس والمملكة المتحدة. وقد استعرضنا خلال مناقشات طويلة وحامية موقف الإخوان المسلمين من الديمقراطية و الجهاد وإسرائيل والعراق والولايات المتحدة وحول نوع المجتمع الذي ترغب الجماعة في تشكيله.

روبرت س. ليكن هو مدير برامج الهجرة و الأمن القومي بمركز نيكسون ومؤلف كتاب تحت الطباعة اسمه "مسلمو أوروبا الغاضبون. وستيفن بروك يعمل كباحث مساعد في مركز نيكسون.

والأخوان المسلمون هي مجموعة من الجماعات الوطنية التي لها وجهات نظر مختلفة، وتتباين آراء الفصائل المختلفة حول كيفية تحقيق هدف الجماعة. إلا أن جميع تلك الفصائل تنبذ حركة الجهاد الدولية وتتبنى الانتخابات وغيرها من سمات الديمقراطية. هناك تيار آخر داخل حركة الإخوان المسلمين يبدي استعداداه للاتصال بالولايات المتحدة. ومنذ عقود مضت قام هذا التيار إلى جانب الحقائق العملية السياسية بدفع حركة الإخوان المسلمين إلى الاعتدال.

ولم تملك صناعة السياسة الأمريكية حراكا بسبب ميول واشنطنون إلى النظر إلى الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية ككل على أنها كيان واحد لا يتجزأ، بينما يتحتم عليهم أن يقوموا بتحليل كل جماعة محلية على حدة والبحث عن الجماعات المنفتحة على الآخرين. فعلى صناع السياسة أثناء بحثهم عن أطراف إسلامية معتدلة أن ينظروا إلى الإخوان المسلمين على أنهم فرصة سانحة ليجدوا بغيتهم.

الأخوة الكبار

ومنذ تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام 1928 وهي تسعى للجمع ما بين الإحياء الديني ومناهضة الاستعمار - أو ما يمكن أن يسمى مقاومة الاحتلال الأجنبي من خلال التركيز الشديد على الإسلام. وفي بداية الحركة كانت تختلف عن المصلحين الأوائل عن طريق الجمع بين الفكر الإسلامي والنشاط السياسي الحديث. فكان هدف الإخوان المسلمين هو الوصول إلى مجتمع مسلم من خلال التربية التي تبدأ بالتركيز على تغيير الفرد ثم الأسرة وانتهاء بالمجتمع. وعلى الرغم من انتماء أفراد الإخوان المسلمين في أول الأمر إلى الطبقة المتوسطة الدنيا، إلا إنها سرعان ما نشرت الانتماء الإسلامي بين أفراد الطبقة البرجوازية ثم إلى القصر مباشرة. وفي الوقت ذاته شكلت الجماعة "الجهاز الخاص" المسلح الذي جندت فيه الشباب

المصريين سواء من المنتمين لحزب الوفد أو النازيين الجدد وغيرها من الجماعات المسلحة التي كانت منتشرة آنذاك في الشرق الأوسط.

وفي عام 1948 حينما كان الكفاح المدني يلوح بالأفق قامت الحكومة المصرية بحل جماعة الإخوان المسلمين، و في أواخر نفس هذا العام تورط عدد منهم في مقتل رئيس الوزراء. وعلى الرغم من الإدانة العلنية لحادث الاغتيال من جانب حسن البنا مؤسس الجماعة، إلا أنه سرعان ما اغتيل هو أيضا تاركا الجماعة متفرقة تتنازع حول خليفته.

وفى إشارة للتصالح مع القصر (ولمنع إحدى الفصائل من الهيمنة على الجماعة) قامت الجماعة باختيار شخص من خارجها وهو المستشار حسن الهضيبي ليخلف حسن البنا كمرشد للجماعة. وتزامن اختيار حسن الهضيبي مع الانقلاب العسكرى الذى اطاح بالملكية فى مصر. وعملت حركة الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر وخليفته أنور السادات بشكل وثيق مع حركة الأخوان المسلمين الذين اجتذبهم الشعور الوطنى لأولئك الضباط وحديثهم عن الإسلام. إلا أنه سرعان ما اتضح أن وعود الضباط الأحرار حول أسلمة الدستور الجديد مجرد وعود وهمية. وقام أحد أفراد الجهاز الخاص الموتورين بتفريغ مسدسه فى عبد الناصر أثناء إلقاء أحد خطبه ، مما دفع النظام الجديد إلى الزج بأفراد الجماعة فى غيابات السجون مع أن الكثير منهم لم تكن له يد فى المغامرة غير المحسوبة لحادث محاولة الاغتيال. وكانت حصيلة هذا الموقف هو خروج الرئيس عبد الناصر غير المصاب الرزين كبطل اسطورى بينما ظهر الجهاز الخاص سيئ السمعة على أنه مجرد عصابة إجرامية عاجزة حتى عن إصابة الهدف.

وفى السجون قام الحراس باتباع أساليب التعذيب التى أدت إلى تشويه صورة القومية العربية فى مصر والعراق وسوريا. ونبضت جروح الأخوان بأسئلة تفوح برائحة الدم: كيف استطاع أولئك الذين وقفوا معنا جنبا إلى جنب ضد الإنجليز والملك أن يطلقوا كلابهم علينا بهذا الشكل؟ هل يعقل أن يكون هؤلاء الذين دأبوا على تعذيبنا من مسلمين؟ ثم توصل سيد قطب أحد كبار مفكرى الجماعة إلى الإجابة عن كل هذه الأسئلة، وهى الإجابة التى تردد صداها فى القرن الحادى عشر: أن هؤلاء الأشخاص إنما هم من الكفار، و بهذا أصبح معذبوهم و النظام الذى يتبعونه أهدافا مشروعة للجهاد.

إلا أن الهضيبي وهو فى زنزانته رفض ما توصل إليه سيد قطب، فكان من رأيه أن الله وحده هو المطلع على ما فى الصدور من إيمان، ورفض فكر التكفير

متعللاً بالقول: "كل من يحكم على أى أحد بالخروج من الإسلام فإنه بهذا يخرج عن الإسلام ويتحدى إرادة الله بالتشكيك فى إيمان الآخرين". وكانت آراء الهضيبى المعتدلة إلى جانب رؤية حسن البنا مؤسس الجماعة هى التى انتشرت بين صفوف الأخوان ودعمت الاتجاه المعتدل للجماعة التى لفظت المؤمنين بأفكار التكفير خارج صفوفها. ولقى سيد قطب ربه على مشنقة عبد الناصر فى عام 1966 وأصبح هو زعيم وشهيد الجهاديين. وعلى حد قول أحد مؤسسى حركة الجماعة الإسلامية التى اشتهرت بهجماتها الشرسة على السياح فى مصر خلال الثمانينيات: "لقد أثر قطب فى جميع من لهم انتماءات جهادية فى العالم بأسره"، ثم أضاف: أما الأخوان فقد تنكروا لأفكار سيد قطب.

وسار الأخوان فى طريق الاعتدال حتى توصلوا إلى أن الديمقراطية تتمشى مع مبادئها فى التغيير التدريجى نحو الأسلمة. فمن رأيهم أنه بمجرد أن يصبح المجتمع إسلامياً فمن الطبيعى أنهم سيرغبون فى اختيار حكام إسلاميين ويدعموهم عند صناديق الاقتراع. كما برر الأخوان مبدأ الديمقراطية مراراً وتكراراً على أسس إسلامية بالتأكيد على أن "الأمة هى مصدر السلطات". وفى إطار سعى الأخوان نحو السلطة الشعبية كونوا تحالفات فى الانتخابات مع العلمانيين والقوميين والليبراليين. وبعد أن خسروا الصراع الداخلى فى الأخوان أعاد المتطرفون تجميع صفوفهم فى الخارج وكونوا فصائل تهدف إلى الإطاحة بالأنظمة الحاكمة فى العالم الإسلامى. (تعتبر جماعة الجهاد بمثابة القلب لجماعة القاعدة فى مصر). ويعتبر الجهاديون تبنى الأخوان لمبدأ الديمقراطية نوعاً من الخروج عن الدين. ومثلما فعل سيد قطب فإنهم يقولون بأن أية حكومة لا تحكم بالشريعة الإسلامية وحدها تعتبر حكومة كافرة، وأن الديمقراطية ليست سياسة خاطئة فحسب بل إنها خطأ لا يغتفر لأنها تعطى للبشر حق السيادة على الله عز وجل، ويطلق عليها أيمن الظواهرى نائب اسامه بن لادن اسم "تأليه البشر". أما أبو حمزة المصرى رجل الدين المتطرف ذو العين الواحدة إمام مسجد فينسبرى بارك سبيء السمعة فى لندن، فهو يعتبر الديمقراطية "الدعوة العالية

الصريحة لتأليه النفس يقوم فيها مجموعة من الناس بوضع آرائهم ووحقوهم محل التصويت، بحيث يضعون آراءهم وقراراتهم فوق قرارات الله تعالى." ويندد أبو محمد المقدسى بالديمقراطية (وهو الذى اعتبرته دراسة حديثة صادرة عن وست بوينت أكثر المفكرين الجهاديين نفوذا على قيد الحياة) قائلاً: "إن الديمقراطية هي الكفر البين والنفاق الواضح الذى يحذرنا منه الله تعالى فى كتابه العزيز."

ويتشكك بعض المحللين - ولديهم الحق - فى إمكانية تمسك الإخوان المسلمين بمبدأ الديمقراطية وما إذا كان هذا من قبيل التكتيكات المحسوبة والاتجاه المؤقت - بمعنى فرصة الالتزام بما يسميه المؤرخ برنارد لويس "رجل واحد وصوت واحد ولمرة واحدة". ووراء هذا التحذير تاريخ طويل من كوارر مشابهة لمنظمات وعدت بتحقيق الديمقراطية ثم ما لبثت أن تنكرت لها عندما تولت مقاليد السلطة: والأمثلة على ذلك كثيرة: البلشفيون والنازيون وحزب البعث فى كل من العراق وسوريا وحتى الناصريون. وهناك دليل ضعيف على أن الإخوان المسلمين يفكرون مليا ماذا سيفعلون لو تولوا السلطة. وعلى الرغم من المحاولات المتعددة لحث الإخوان المسلمين لتوضيح شعارهم "الإسلام هو الحل" فلا يزال ما كتب عن الحكومة الإسلامية نادرا حتى وإن كانت بمثل سطحية وسذاجة ما كتبه لينين تحت عنوان "الدولة والثورة" أو ما كتبه ماركس باسم "نقد برنامج جوته".

إلا أن الإخوان المسلمين يختلفون عن كل هؤلاء فى أن طريقهم إلى السلطة لا يمر بالثورة ، بل إنه يكون عن طريق كسب قلوب الآخرين بالتحول التدريجى السلمى إلى الاتجاه الإسلامى. وبهذه الاستراتيجية الحذرة المتأنية تسعى حركة الإخوان المسلمين إلى المواجهة مع السلطات - بحيث تفتح قناة للسخط أمام الآخرين وفى نفس الوقت توسع مجال نفوذها تدريجيا. وكما أخبرنا أحد الأعضاء الكبار فى الجماعة "سيكون من الظلم للجماعة أن تتولى السلطة قبل أن تكون غالبية المجتمع مستعدة لدعمها والوقوف بجانبها". كما أخبرنا قائد آخر من الجماعة انه إذا تولى الإخوان الحكم و لم يديروه بالحكمة الكافية ثم واجهوا هزيمة فى الانتخابات "فإننا نكون بذلك قد خذلنا

الناس وسيكون من حق الحزب الجديد أن يتولى السلطة من بعدنا. إننا لن نحرم احدا من حقوقه." وفي حوارات مطولة مع حلفاء الأخوان المسلمين اليائسين في الشرق الأوسط، تطرق إلى سمعنا الكثير من التعبيرات التي تتم عن الثقة من أن الجماعة سوف تتمسك بالعملية الديمقراطية.

جدل من الداخل

وتضافرت جميع العوامل من السجون في الشرق الأوسط إلى دولارات البترول والخصومة الجغرافية إلى جانب صحوة "الأخوان المسلمين" لكي تظهر حركة إسلامية مختلفة إلى حد كبير. وللأسف فإن هذا الفرق البسيط لا يتضح في إطار الخطاب الغربي، فإن وضع كل هذه الفرق تحت مسمى واحد مثل "سلفي" أو "وهاي" يتجاهل الفروق و الخطوط الفاصلة بينها – وبذا يحبط التفكير الاستراتيجي كلية.

وعندما سألنا الأخوان المسلمين في الشرق الأوسط وأوروبا عما إذا كانوا سلفيين أم لا (كما يشار إليهم أحيانا)، كانت إجابتهم في العادة مثل اتجاه الرئيس السابق كلينتون: "هذا يعتمد على تعريفك لكلمة سلفي"، فإذا كانت السلفية تعني إسلام النهضة الحديثة الذي نادى به جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده (وهما مصلحان من بداية القرن العشرين كان لهما تأثير على حسن البنا) فالإجابة ستكون بنعم فقد كانوا بالفعل من السلفيين. إلا أن أحد المواقع على شبكة الإنترنت والذي يديره السلفيون الذين يؤمنون بعدم دخول السياسة في الدين وأنه يجب تأييد الحكام الحاليين تأييدا غير مشروط، يدين هذا الموقع كل من الأفغاني ومحمد عبده على اعتبار أنهما "بعيدان عن العقيدة السلفية". (هذه هي وجهة نظر المؤسسة الدينية السعودية للأمور ولأسباب واضحة). فإن معظم مثل هؤلاء الشيوخ الذين تدرّبوا في المؤسسات الرسمية السعودية يرون أن مشاركة الأخوان المسلمين في السياسة قد حولتهم إلى "الأخوان المفلسين". وكما قال أحدهم "إن الأخوان المسلمين لهم أهدافهم

واستراتيجياتهم السياسية التي تدفعهم إلى تقديم التنازلات للغرب. أما بالنسبة لنا نحن السلفيين فالهدف عندنا ديني بحت".

ويقول نقاد آخرون إن الأخوان المسلمين يساعدون على نشر التطرف في الشرق الأوسط وأوروبا، إلا أن الحقيقة تشير إلى أن الأخوان يعملون على صد المسلمين عن العنف، و توجيههم إلى مسارات بديلة مثل السياسة والأعمال الخيرية. وقد أخبرنا أحد أعضاء مكتب الإرشاد أثناء وجوده في القاهرة "لولا وجود الأخوان المسلمين لاختار معظم شباب هذا العصر طريق العنف. فقد اصبح الأخوان بمثابة صمام الأمان للإسلام المعتدل." أما زعيم جبهة العمل الإسلامية الأردنية الجناح السياسي للأخوان المسلمين بالأردن فيقول إن حركته تتفوق على الحكومة في مواجهة الجهاد، وعلى حد قوله: "إننا أقدر على القيام بالمواجهة الفكرية وليست المواجهة الأمنية مع قوى التطرف والتعصب".

وفي لندن أبرز زعماء الأخوان المسلمين التناقض في موقفهم مع موقف الجماعات المتطرفة مثل حزب التحرير الذي "يسعى إلى الوصول بالمجتمع إلى نقطة الغليان".

ويزعم الأخوان المسلمون تحقيق النجاح في إبعاد التطرف عن صفوفهم عن طريق الانضباط التنظيمي واتباع برنامج تعليمي شاق. (ولفت أحد أعضاء الأخوان النظر إلى أن شعار الجماعة يمكن أن يكون "اسمع وطع"). فإذا أراد أحد الأعضاء الإقدام على ارتكاب أحد أعمال العنف فإنه غالبا ما يضطر إلى ترك الجماعة كي يتمكن من تحقيق ما ينشد. ومن المعروف أن العديد ممن يتبنون مبدأ العنف قد مروا بالأخوان المسلمين منذ نشأتها، وأن الطريق الموصل من الأخوان إلى الجهاد واضح وليس مدفونا في الرمال. وقد ثبت تاريخيا أن الانشقاق عن الجماعة قد وقع عندما واجهت مزيجا من الضغوط الداخلية والخارجية مثلما حدث عندما ظهرت حركة

التكفير نتيجة القهر الذى تعرضوا له ، مما أفرز حركة الجهاد المصرية. إلا أن الإخوان المنشقين حالياً من المرجح أن ينضموا إلى الوسط المعتدل وليس إلى حركة الجهاد. وفى أواسط التسعينيات حدث انشقاق داخلى بسبب التقدم لتكوين حزب سياسى وهو ما حدث فى إطار المواجهة الأمنية التى قامت بها الحكومة ضد الاعتداءات التى قامت بها حركة الجهاد. وقد تسببت هذه الضغوط فى خروج بعض الإخوان بحيث كون معظمهم حركة الوسطية الإسلامية الليبرالية ومنها حزب الوسط.

ومن بين القضايا الشائكة أيضاً ميراث سيد قطب للجماعة والذى يكتنفه الغموض، فالتعرض بالنقد "للشهيد" سيد قطب كما يطلق عليه يحتاج إلى لمسة جراح دقيق فقد مات وهو على طريق الدعوة ولكنه شرد بعيداً عن أفكار مؤسس الجماعة. وحتى كتاب "دعاة لا قضاة" الذى سطره المرشد الهضيبى والذى كان يبدو تنفيذياً لأفكار سيد قطب ، لم يذكر سيد قطب ولا مرة واحدة. ويحتفى الإخوان حالياً بسيد قطب على اعتباره أحد الشخصيات البارزة التى لا يمكن حصر أفكارها فى إطار الجهاد فحسب. إلا أنهم بهذا يركعون على سور مليئ بالأشواك عندما يتبنون أفكار سيد قطب وفى النفس الوقت يقولون إنهم أخرجوا تعاليمه الداعية إلى عنف من "أدبياتهم". وهنا نتساءل ما الدروس التى يمكن أن يستقيها الأعضاء الشباب من الإخوان الميالون إلى العنف من مثل هذا الموقف؟

وبينما يتم تصنيف الجهاديين على أنهم مسئولون عن المذابح الدولية فإن الإخوان ينهمكون أكثر فى تحقيق أهداف وطنية داخلية. ففي الانتخابات البرلمانية لعام 2005 فاجأ المرشحون المستقلون المنتمون للحركة المحظورة رسمياً والمسموح بها فعلياً الجميع بالفوز بعشرين فى المائة من مقاعد مجلس الشعب - وهو ما يدعو إلى الإعجاب نظراً لانتشار ظاهرة الغش من جانب الحكومة وترويع الناخبين. وفى البرلمان الجديد نسق الإخوان جهودهم التشريعية بتكوين لجنة خبراء داخلية أو ما أطلق عليه اسم "المطبخ السياسى" الذى يجتمع فيه الإخوان المسلمون كل حسب

تخصصه. وذلك بدلا من اتباع جداول أعمال دينية وثقافية مختلفة قام الأخوان المسلمون بالضغط في اتجاه توفير مساكن سعرها في متناول الجميع وانتقدوا سياسة الحكومة في التعامل مع أزمة أنفلوانزا الطيور وطالبوا بتقديم المسئول عن سلسلة حوادث التصادم الأخيرة التي تعرضت لها الأوتوبيسات والقطارات والعبارات.

وقد تسببت هذه الانتصارات الانتخابية والانتقادات المعتدلة والعملية في زيادة حدة توتر العلاقة مع الحكومة المصرية، فقد تبع الانتصارات الانتخابية للأخوان تأييدهم للإصلاح في مجال القضاء واستقلاله في شهر مايو 2006. وأدت الإجراءات المشكوك فيها التي اتخذها الرئيس مبارك للتحضير لتوريث السلطة لأبنة جمال إلى مزيد من الملاحقة الأمنية للمعارضة.

كما أدى هذا الضغط إلى زيادة الخلافات بين الاتجاهات المتعددة داخل الإخوان المسلمين المصريين. ومنذ الثمانينيات والمهنيون المنتمون للطبقة الوسطى يدفعون بالحركة نحو اتجاه أكثر شفافية ومرونة، فعندما عمل هؤلاء الإصلاحيون داخل الاتحادات العمالية و النقابات المهنية تعلموا الدخول في تحالفات وتقديم الخدمات لأفراد تلك المؤسسات. وقد أخبرنا أحد زعماء الفصائل الإصلاحية أن: "الإصلاح لن يتحقق إلا عندما يعمل الإسلاميون مع القوى الأخرى بما فيها العلمانيين والليبراليين." ويجد هذا التيار مرتعا مريحا داخل غطاء الحركة المصرية كفاية والتي تحتوى الإخوان المسلمين إلى جانب جميع فصائل العلمانية و الليبرالية والقومية واليسارية. وقد ولدت حركة كفاية في حمأة المعارضة للحرب على العراق وهي الآن تعتبر بمثابة القلب بالنسبة للمعارضة الديمقراطية المصرية. (ومن سخرية الأقدار أن حربا شنت من أجل الديمقراطية قد ساعدت في توليد جبهة ديمقراطية في مصر تعارض تماما الولايات المتحدة وحربها).

ويشترك الجناح الإصلاحي للأخوان مع المحافظين في المناصب العليا في المنظمة التي تحمل آثار الاضطهاد والسرية. فقد وقعت أكثر الانقسامات حدة حول مسألة تكوين حزب سياسى؛ وهى الخانة الفارغة الأساسية في جدول أعمال

الإصلاح. فيرى الإصلاحيون أنه إذا تم هذا فإنهم سيحققون الأهداف الأكبر للجماعة بإعطائهم الفرصة لتوصيل رسالتهم إلى متلقين لم يكونوا ليصلوا إليهم بدون ذلك الحزب. أما المحافظون فهم يرون أن الحزب يجب أن يكون مجرد ملحق للحركة بحيث يكرس تماما للعمل السياسي.

وفي الوقت نفسه سوف تقوم حركة الأخوان الاجتماعية بأداء مهام بعيدة عن السياسة مثل الأعمال الخيرية والتعليم و الصحة.

أخوة متحابون ام متشاكسون؟

على الرغم من ان فرع الاخوان المسلمين في مصر يظل الأقوى تأثيراً فإن الفروع الأخرى ازدهرت في كل انحاء الشرق الأوسط وأوروبا. ومع هذا يوجد لا يوجد "تشكيل" تجمعي إسلامي دولي. فالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين مرهوب الجانب هو في الواقع تحالف فضفاض وضعيف ونادرا ما ينعقد بأعضائه الأساسيين. صحيح أن ضعف الأخوان الدولي ناتج عن النجاحات المحلية: الحكم الذاتي الوطني و التكيف مع الظروف المحلية، إلا إن التبعية الأيديولوجية التي تربط بين تنظيمات الأخوان المسلمي دوليا تخضع لأولويات وطنية تتشكل كل منها بشكل فردي.

وبسبب قمعها في انحاء كبيرة من الشرق الأوسط، انتشر الأخوان المسلمون في أنحاء العالم العربي من خلال الطلاب واعضائها في المنفي ومنها الى أوروبا. ففي اوائل عام 1980، سعى أخوان مصر الى عمل تنسيق بين العشرات من فروعها الوطنية. لكن المعارضة كانت عالمية. فقد احتج فرع الإخوان المسلمين في السودان بزعامة حسن الترابي الذي قال "إنكم لن تديروا العالم من القاهرة". وعندما غزت العراق الكويت عام 1990، اعترض أخوان الكويت على تساهل التنظيم الدولي وانسحبوا آخذين معهم تمويلهم الضخم. كما أن الحكومة التي اقامتها الولايات المتحدة في العراق كانت سببا اخر للخلاف. ففي الوقت الذي ينتقد الأخوان المسلمون في

الشرق الأوسط واوروبا الحكومة العميلة في العراق، فإن فرع الأخوان هناك يحتل مكانا بارزا في البرلمان. ومؤخرا أيضا اعتبر التحالف بين الأخوان المسلمين في سوريا ونائب رئيس الجمهورية السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام اهانه لفروع الأخوان الأخرى. كما عملت الحرب على لبنان الصيف الماضي على زيادة حدة الانقسام حيث بادر الاخوان السوريون الى ادانة تدخل الرئيس بشار في لبنان بينما وقف بقية الاخوان مع حزب الله.

كما ان للفروع الوطنية للأخوان اراءا متباينة تجاه الولايات المتحدة. ففي مصر والأردن، حتى مع اعتبارهما حلفاء لواشنطن ضد "الحكم المطلق والإرهاب"، فإن الاخوان مدفوعين جزئيا باعتبارات انتخابية، انتقدوا الولايات المتحدة بشدة. وفي ذات الوقت، يحرص اخوان سوريا على دعم جهود ادارة بوش لعزل نظام الاسد ومن ثم فإن التصريحات النارية المعادية للولايات المتحدة التي تصدر في الاردن ومصر، نادرا ما نجدها في سوريا.

وحتى مع القضية المركزية ألا وهي اسرائيل، فإن كل تنظيم وطني له نغمته الخاصة به. فكل زعيم من زعماء الأخوان المسلمين تحدثنا معه زعم استعداده أن يحذو حذو حماس_ فرع الأخوان المسلمين الفلسطينيين - إذا ما اعترفت بالدولة اليهودية. وقد تكون مثل هذه المواقف ناشئة عن ثقة في عناد حماس، إلا إنها مع هذا تمثل راحة كبيرة لمعظم الجهاديين. وحسبما قال الطواهرى صاحب الآراء الجهادية "ليس لأحد الحق، سواء كان فلسطينيا، ان يتنازل عن حبة رمل واحده من فلسطين والتي هي ارض اسلامية احتلها الكفار".

والأخوان يجيزون الجهاد في البلاد والمناطق المحتلة من قوى اجنبية. وكما كان الحال في افغانستان تحت السوفيت، فإن الاخوان يرون ان النضال في العراق وضد اسرائيل هو جهاد دفاعي ضد الغزاة، وهو واجب اسلامي يماثل الحرب العادلة في العقيدة المسيحية. ومع هذا، فأن فشل الاخوان في تأكيد البعد الديني يثير غضب الجهاد الذين يسخرون من الأخوان (بما فيهم حماس) لخوضهم الجهاد "من اجل

الأرض" وليس في سبيل الله. قارن بين بيان يوسف القرضاوي الأخواني الذي يقول بأن "العداء بيننا وبين اليهود على الأرض فقط" مع ما قاله الظواهري "إن الله تبارك وتعالى جعل الدين سببا للعداء وسببا للقتالنا".

وينكر الاخوان المسلمون بشده أن تكون جماعتهم معادية للسامية. فالمرشد العام للإخوان المسلمين الحالي محمد مهدي عاكف يقول "ليس هناك صراع بين الأخوان المسلمين و اليهود ولكن بين الأخوان والصهاينة اللذين قال عنهم عاكف (انهم ليسوا يهودا). ورغم هذا الإنكار فإن أدبيات الاخوان تعبر عن الكراهية لكل اليهود وليس الصهاينه فقط". فعلى سبيل المثال نشر ملحق الأطفال في مجلة الدعوة الأخوانيه في أكتوبر 1980 وهو ملحق لتوجيه الأطفال الصغار عن "أعداء الدين" "انهم اليهود، اخواني اشبال الاسلام انهم اعدائكم واعداء الله .. اشبال الإسلام امحوهم من الوجود". ولكن في خطبته في مسجد صومالي شمال لندن، أعلن كمال الهلباوي- وهو واحد من أكثر الأخوان المسلمين تأثيرا في المملكة المتحدة- انه لكي يكون المسلم صالحا فإن العقيدة وحدها لا تكفي. فبعد العقيدة هناك الجيره ويحكي الهلباوي قصة العالم عبد الله بن المبارك الذي كان له جار يهودي. وأراد اليهودي ان يبيع داره. وعندما سأله المشتررون عن السعر قال "الفان" ولكنهم قالوا أن داره لا يستحق أكثر من ألف. فقال نعم، ولمن اريد ألفا عن بيتي وألفا أخرى عن الجار الصالح الذي سأتركه". وبعد الخطبة سألنا الهلباوي عما إذا كانت الأنباء الواردة مؤخرا عن معاداة السامية بين المسلمين في انجلترا هي التي دفعته الى هذه الخطبه والتي تشيد علانية بيهودي أظهر قيمة الاسلاميه مقدسة. أجاب "هذا ما اقصد بالضببط".

إن الاسلاميين متهمون بأنهم يستخدمون خطابا مزدوجا مخادعا: "شرطي معتدل طيب بالإنجليزية و شرطي اصولي طالح بالعربية". في مقال نشر مؤخرا في مجلة اتجاهات معاصرة في الفكر الإسلامي نجد تباينا يثير القلق بين النسختين العربية والإنجليزية لمقالات معينه على الموقع الرسمي للإخوان المسلمين. ولكن خطبة الهلباوي القاها بالإنجليزية فقط بدون صياغة عربية. وهذا الخطاب العام المسجل

أكثر إقناعاً من كلام الأخوان المعسول المعتاد عن التفرقة بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية.

الإخوان في الخارج

تمثل الجماعة التي يقودها الإخوان في أوروبا أقلية في الدول العلمانية الديمقراطية وهم يفهمون أنهم سيظلون أقلية في المستقبل المنظور. فلا يحاول احد تحويل مواطنيهم الى الإسلام. إذ بدلا من ذلك، يركزون على الحقوق الدينية للأقليات. (ومما يدعو الى السخرية، أن الإخوان المسلمون أشاروا على المنظمات ضرورة الإستفادة التامة من تسامح أوروبا الديني الشديد الناشئ عن تجربة النازي المعادية للسامية).

والمثال على توجه أخوان أوروبا لذلك جاء بعد أن نشرت صحيفة دانماركية رسوم كارتونية تسخر من الرسول محمد العام الماضي. فعلى الرغم من ان شبكتهم العالمية ساعدت على نشر الحديث عن الرسوم، فإن كل الفروع دعت رسميا الى احتجاجات سلمية. فاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، وهو تجمع لأهم المنظمات التي يقودها أخوان أوروبا أدانت الصحف الأوروبية التي نشرت الرسوم ولكن ليست بعبارات لاذعة. فعلى سبيل الرغم من نقد الرسوم "لايذائها مشاعر المسلمين" إلا أنها كرست مساحة اكبر للدعوة لزيادة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين. وعلى النقيض من ذلك' فقد دعى الجهاديون الى القصاص من الرسامين ونسقوا "ايام حرق السفارة".

وفي فرنسا، أعطى العدد الضخم للمسلمين هناك والتقارير الصحفية والحكومية المحذرة من اسلمة المدارس والمساجد الراديكالية المقامة في أماكن انتظار السيارات و احتجاجات المسلمين الصاخبة ضد اسرائيل وتدنيس المقابر اليهودية والهجوم على النساء غير المحتشمات والمخططات الإرهابية العديدة التي تم احباطها ، كل ذلك اعطى انطباعا عاما داخل وخارج البلاد عن صعود اسلامي قوي. وكان ذلك هو

السبب الذي دفع عددا من المراقبين الفرنسيين والاجانب إلى التعجل في وصف اعمال الشغب من قذف للحجاره و حرق للسيارات في عام 2005 والتي شملت معظم أحياء المسلمين (بالإنفاضة الفرنسية). وبحسب تقارير المراقبين المتوترين، فإنه بعد ثلاثة او اربعة اسابيع من أعمال الشغب فشل الإسلاميون في الإشعار بوجودهم وظهروا اقل قدره على اقامة الشريعة في بعض الأحياء المعتمه. وطبقا للإستخبارات الفرنسية المحلية' فإن الرادكاليين الإسلاميين لم يلعبوا اي دور في اشعال او اثاره العنف. بل على العكس من ذلك، كانوا مهتمين جدا بالعودة السريعة الى الهدوء لتلافي اتهامهم بأي شئ. وقد صرح لنا رئيس فرع باريس في الإستخبارات الفرنسية بأنه تم القاء القبض على 3000 من مثيرى الشغب في باريس الخريف الماضي ولم يكن بينهم اي واحد معروف عنه انه ينتمي الى جماعة اسلامية ونحن نراقبهم عن كثب".

وفي الحقيقة، فإنه عندما برز الإسلاميون' فانهم كانوا يحاولون تهدئة مثيرى الشغب الذين استقبلوا مبادرتهم بالحجارة. وقد انتقدت منظمة اتحاد المنظمات الإسلامية الفرنسية ذات الصله بالاخوان اعمال الشغب في فتوى. وتعد هذه الفتوى تتويجا لاستراتيجية الإتحاد، الذي تأسس منذ 15 عاما ويهدف الى قبوله كشريك يمكن للحكومة الفرنسية أن تعول عليه. وقد قال لنا أرفع مسئول في جهاز الإستخبارات الفرنسية ان الاتحاد "يحتاجهم" وذلك لتوضيح ان المنظمة لا تمثل خطرا.

وشبها بذلك، فإنه عندما حظرت السلطات الفرنسية ارتداء الحجاب، كان موقف الإتحاد هو التكيف. وقد كان الموقف الحذر من الإتحاد من القانون مثار استياء الفروع الأخرى للإخوان في اوروبا، فقد كانوا يأملون فى أن يكون اقرانهم الفرنسيين اكثر تشددا خشية ان يصبح الفرنسيون سابقة للركون بالنسبة للجماعات الاسلامية الاوروبية ذات النزعة الانفصالية.

وكجزء من استراتيجية التعاون والتواجد الهادئ حافظ الاتحاد على الابتعاد عن الشخصيات الاخوانيه المثيره للجدل مثل القرضاوي الموصوم في الغرب لتبريره الجهاد في اسرائيل والعراق. فقد تلاحظ عدم الترحيب بالقرضاوي في الاجتماع

السني الأخر للاتحاد. (بالنسبة لكثير من المسلمين لا يعد القرضاوي راديكاليا بل ان المنظر الجهادي ابو بصير الطرطوسي، يستحق القرضاوي الاستبعاد "لإعتداله"). بل إن صحيفة الاتحاد الناطقة عن هذه المنظمة الفرنسية تتعامل مع القضية الفلسطينية بحذر، فهي تؤيد التبرعات الخيرية للاجئين وتقدم الفلسطينيين كضحايا لا مقاتلين. ولا يشارك الإتحاد في المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين وتتحاشى بشكل واضح الصراعات العربية الاسرائيلية. ولم تشارك في عام 2003 في المظاهرات الوطنية ضد الحرب على العراق ولا المسيرات الحاشدة في ربيع 2006. إن غياب الاتحاد عن اعمال الشغب والمسيرات في الدوله الأوربية ذات العدد الاكبر من المسلمين' يمكن ان يخفف من مخاوف سيطرة اسلامية على اوروبا.

يختلف هذا التعقل من جانب الإتحاد كثيرا عن مثيله في بريطانيا (اتحاد مسلمي بريطانيا) الذي دعى شخصيات مثل القرضاوي. وعلى الرغم من انه مسلمي بريطانيا يمثلون ربع عدد المسلمين الفرنسيين إلا انهم أكثر غضبا وحرما وأكثر عرضه للإرهاب. ويعد الإتحاد الفرنسي اكثر نفوذا من الإتحاد البريطاني. غير ان الإتحاد البريطاني الأصغر يشق طريقه في بحر شديد العواصف. فعندما اسس الإخوان المسلمون الإتحاد البريطاني عام 1997، كان مجرد احد المنظمات الإسلامية الكثيره في المملكة المتحدة. وكان الكثير منهم رديكاليا يرفض الإعتدال. وكانت توجد على الساحة لفترة طويلة منظمة UK Islamic Mission وهي فرع من الحركة الإسلامية الباكستانية التي اسسها ابو الأعلى المودودي. وبينما كان صوت الإتحاد الفرنسي يقوى بين الناشطين المسلمين الفرنسيين، كان الإتحاد البريطاني الناشئ يحاول اسماع صوته في ساحة واسعة يلقي فيها الصغار باللائمة على الجيل الأكبر.

وبينما كان الإتحاد البريطاني يقوى نفوذه، بدأ في العمل مع الحكومه البريطانية وكان هذا التعاون ملحوظا في مسجد فنسبرى بارك في لندن. وكان المسجد قد اكتسب سمعة سيئة بسبب واعظ سيئ السمعة. وعلى الرغم من القبض على

"المصري" وطرده من المسجد فإن اتباعه سرعان ما عادوا واستعادوا السيطرة عليه، وترددت الشرطة في التدخل مباشرة في دار عبادة، فمنحت الاتحاد السيطرة على المسجد مقابل التخلص من الراديكاليين. فاستحوذ الإتحاد على الأغلبية في ادارة المسجد وحشد الحشود من اجل إعادة السيطرة على المبنى. وعلى الرغم من ان رجال المصري حاولوا اقتحام المسجد، الا ان مؤيدي الاتحاد احتشدوا وطردوهم. منذ ذلك الحين، تقول اسكوتلاند يارد إن "شركائهم" المؤثرين الذين يمكن الاعتماد عليهم تمكنوا من تحويل بعض اتباع المصري السابقين عن الراديكالية.

وقد ادى التعاون المفتوح مع السلطات الى خلافات مع الجماعات الراديكالية. وتتمحور المنافسة بين الاتحاد البريطاني والجماعات الراديكالية مثل حزب التحرير في اطار عرقي وعلى الأجيال. فالشباب المسلم من ذوي الأصول الاسلامية ينضمون بكثافة الى حزب التحرير في حين ان الكبار وقليل من المسلمين من اصول عربية ينضمون الى الاتحاد. ويقول عضو سابق في جماعة حزب التحرير إن جماعته تسيطر على الساحة البريطانية. وقد قدر عدد اعضاء جماعته بحوالى 8500 عضو في المملكة المتحدة في حين ان الاتحاد يضم 1000 فقط.

وحسب تقييم حديث لرئيس الأمن الداخلي البريطاني عن الانشطة الجهادية فإن الجماعة الراديكالية التي لا تنتهج العنف رسميا ليست على القائمة. "هناك حوالى 200 تجمع أو شبكة بها أكثر من 1600 فرد معروفين (وهناك الكثيرون غير معروفين لدينا) يشاركون بنشاط في التخطيط والتسهيل لأعمال أرهابية هنا وفي الخارج. وبالنظر الى هذه الأعداد، فلا عجب ان تسمع من مسؤولي الاتحاد ان جماعتهم "بعيده لعقد من الزمن ولا تكتسب ارضا ضد الجماعات الراديكالية في المملكة المتحدة".

فرق ثم تعامل

ولأنها نشأت كحركة مناهضة للإمبريالية تماما مثلما قامت للإحياء الإسلامي، فإن الأخوان المسلمين شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة تتبع نهجها الخاص. فإذا كانت فروع تقاوم وساطة اقرانها من المنظمات الأخرى فكيف لها ان تعتنق وصاية الولايات المتحدة؟ غير ان التعاون في نواحي معينه ذات الأهتمام المشترك مثل معارضة القاعده وتشجيع الديمقراطية ومقاومة المد الإيراني يمكن ان يكون مجديا.

ونقطة البدء يمكن ان تكون مع ممثلي الأخوان من الجناح الإصلاحية خاصة ذلك الذي يعيش في الغرب. لقد ضاعت من الولايات المتحدة الفرصة للسمع من احد هؤلاء الإصلاحيين في اكتوبر الماضي الا وهو الهلباوي ذلك الامام الذي سمعناه يلقي خطبه يمتدح فيها يهودي. لقد تم اجبار هذا الرجل من ترك رحله كانت متجهة لمؤتمر في جامعة نيويورك. أن مثل هذه المعاملة مع شخصية معروف عنها موافقها الشجاعة ضد الاسلام الراديكالي ودفاعه العلني عن الحوار مع الولايات المتحدة يمثل تصرفا محيرا من وزارة الداخلية الأمريكية والتي لم تقدم تفسيراً لذلك. فهذا الرجل المعجب بشكسبير والأختين برونتي والمقيم في لندن هو المحاور المطلوب بالضبط الذي يمكن ان يساعد على الوصل بين الحضارات. وعلى العكس، فإن إذلاله على الملأ كان هديه للراديكاليين الذين سيقولون له "لقد حذرناك" من التعامل مع الأمريكان.

إن سياسة الولايات المتحدة تجاه الأخوان تتنازعها آراء أولئك الذين ينظرون الى الاخوان واتباعهم كمكون مهم في شبكة الجهاديين العالمية وأولئك الذين يقولون بأن الدعم الشعبي للأخوان في البلدان الإسلامية الرئيسية و اعتدالهم يتطلب درجة من درجات التعامل. والرأي الأول يبدو أنه الغالب وهو ما يفسر تصاعد جهود الولايات المتحدة في عزل الأخوان مثل منع الهلباوي والإصلاحيين الآخرين من اعضاء الاخوان من دخول الولايات المتحدة ومنع الشخصيات الحكومية في الولايات المتحدة من التعامل مع الاخوان.

ولكن إذا ما ارادت الولايات المتحدة ان تتواءم مع الصورة الإسلامية في الوقت الذي تدفع فيه مصالحها القومية فإنه على صناع القرار ان يدركوا التنوع اللا محدود للتوجهات السياسية. وعندما يتعلق الأمر بالاخوان المسلمين، فإن الحكمة تقتضي التمييز بينها وبين الإسلام الراديكالي وكذا ادراك الإختلافات المهمة بين تنظيمات الأخوان الوطنية. وهذا التنوع يتطلب من واشنطن التعامل مع الأمور تبعا لكل حالة على حده، تاركة الموقف في كل دولة على حدا لتحديد متى يمكن اعتبار البدء بالحديث او حتى العمل مع الأخوان امرا مجديا ومناسبا. وفي الوقت الذي تبحث فيه الولايات المتحدة عن معتدلين مسلمين ينعمون بدعم شعبي قوي و في الوقت الذي تعاني فيه واشنطن من العزله والشك وتحاول الحفاظ على مصالحها ومقدراتها في العالم الإسلامي، يصبح للحوار مع الإخوان المسلمين منطقا استراتيجيا قويا.